

روح المعاني

من قوله سبحانه : ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم الآية لدلالته على أنه عز وجل ينتقم من المكذبين برسول الله ﷺ وينصر متابعيه فذكر فيه من البينات ما أجمل هنالك مما يدل على القدرة والحكمة والرحمة وأختير من الأدلة ما يجمع الثلاثة وفيه ما يرشد إلى تحقيق طرفي الإيمان أعني المبدأ والمعاد وصرح بكفرانهم بالنعمة ودمهم في الحالات الثلاث لأن ذلك مما يعرفه أهل الفطرة السليمة ويتخلق به وأدمج فيه دلالته على المعاد بقوله تعالى : فأنظر إلى آثار رحمة الله ﷻ ولما فرغ من حديث ذمهم بنى على هذا المدمج وما دل عليه سياق الكلام من تماديهم في الضلالة مثل هذه البينات التي لا أتم منها في الدلالة فقال سبحانه : فإنك لا تسمع إلى قوله تعالى : فهم مسلمون وفيه أنهم إذا لا محالة من الذين ينتقم منهم وأنتك وأشياعك من المنصورين والله تعالى أعلم فتأمل مع ما ذكرنا .

وقد تقدم الكلام في هذه الجملة خالية عن الفاء في سورة النمل وكذا في قوله تعالى : ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين 25 وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون 35 بيد أنا نذكر هنا ما ذكره الأجلة في سماع الموتى وفاء بما وعدنا هنالك فنقول ومن الله تعالى التوفيق : نقل عن العلامة ابن الهمام أنه قال : أكثر مشايخنا على أن الميت لا يسمع إستدلالا بقوله تعالى : إنك لا تسمع الموتى ونحوها يعني من قوله تعالى : وما أنت بمسمع من في القبور ولذا لم يقولوا يتلقين القبر وقالوا : لو حلف لا يكلم فلانا فكلمه ميتا لا يحنث وحكى السفاريني في البحور الزاخرة أن عائشة ذهبت إلى نفي سماع الموتى ووافقها طائفة من العلماء على ذلك ورجحه القاضي أبو يعلى من أكابر أصحابنا يعني الحنابلة في كتابه الجامع الكبير واحتجوا بقوله تعالى : إنك لا تسمع الموتى ونحوه وذهبت طوائف من أهل العلم إلى سماعهم في الجملة .

وقال ابن عبد البر : إن الأكثرين على ذلك وهو إختيار ابن جرير والطبري وكذا ذكر ابن قتيبة وغيره واحتجوا بما في الصحيحين عن أنس عن أبي طلحة رضي الله ﷻ تعالى عنهما قال : لما كان يوم بدر وظهر عليهم يعني مشركي قريش رسول الله ﷺ أمر ببضعة وعشرين رجلا وفي رواية أربع وعشرين رجلا من صناديد قريش فألقوا في طوى أي بئر من أطواء بدر وأن رسول الله ﷺ ناداهم يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعد ربي حقا فقال عمر رضي الله ﷻ تعالى عنه : يا رسول الله ﷺ ما تكلم من أجساد لا أرواح لها فقال : والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم زاد في رواية لمسلم عن أنس ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا وبما أخرجه أبو الشيخ من مرسل عبيد بن مرزوق قال :

كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد فماتت فلم يعلم بها النبي صلى الله عليه وسلم فمر على قبرها فقال E : ما هذا القبر فقالوا : أم محجن قال : التي كانت تقم المسجد قالوا : نعم فصف الناس فصلى عليها فقال : أي العمل وجدت أفضل قالوا يا رسول الله أتسمع قال : ما أنتم بأسمع منها فذكر E أنها أجابته قم المسجد وبما رواه البيهقي والحاكم وصححه وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي وقف على مصعب بن عمير وعلى أصحابه حين رجع من أحد فقال : أشهد أنكم أحياء عند الله تعالى فوزروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة وبما أخرج ابن عبد البر وقال عبدالحق الأشبيلي إسناده صحيح عن ابن عباس مرفوعا ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن